حاولت أقطف وهجا ، فأمطر حزني
وعند أنهار هباتك قلت لارضي تبارك
هذا الربيع ، تلقي هبات يديه ، فأزهر
حزني
وقام التعارض سدا كما الموت ، حال
التعارض دون اندماج العناصر
شمسك ظلت قصية ...
وأرضي ظلت عصيه

ومثل هذا الاختصاص في موضوع شعري ما ، والدوران حوله والنهل من ينبوعه ، وتقليبه على اوجهه ، واستنفاد طاقاته ليس امرا سهلا في ميدان الخلق الفني اذ ان التجربة الواحدة مهما كانت ثرة وغنية ، لا بد لها أن تخبو مع تكرار صياغتها ، فما بالك بموضوع مثل موضوع فلسطين وضياعها تتسم معطياته بالدمع والغربة والقهر ، وهو شغلنا الشاغل منذ ما يقرب من نصف قرن وقد سئم الناس من قراءة آثاره لانها توحي باللاجدوى والعبث ؟..

لقد عانى السياب معاناة قاتلة اثناء مرضه من ضمور تجربته الشعرية وتقلصها ووحدانيتها ودورانها الدائم حول فكرة الموت والخوف منه ووداع العالم الى غير رجعة وتمثل هذا الامر اكثر ما تمثل في دواوينه الاخيرة : « شناشيل ابنة الجلبي » و « المعبد الغريق » و « منزل الاقنان » حيث حاول السياب ان يعوض عن فقر المضمون وتكراره بلعبة الشكل والصياغات المستجدة وخاصة في مجالات الموسيقى والتنويع عليها .

لكن فدوى طوقان عامدة متعمدة قصرت موضوع مجموعتها هذه على مأساة فلسطين كي تقول بمعنى من المعاني انه لا يشغلها شيء في الوجود ويؤرق حياتها ، كما يشغلها أمر وطنها المنهوب ... انه موقف التزامي صميمي نابع عن صدق شخصي وفني انعكس في كل شطرة وفي كل مقطع وفي كل قصيدة من صفحات المجموعة حيث يشعر القارىء لها بنكهة فلسطين ، جبالها ووهادها ، مدنها وقراها ، وشوشة الرياح في غضائها ، رقرقة الجداول في بساتينها ، ذكرياتها الدينية والنضالية العطرة ، ثم فدائييها وشهدائها وعلى راسهم الشهيد البطل (وائل زعيتر) الذي وضع برسالته الحقيقة الفلسطينية امام عيون العالم المضلل واللامكترث :

وجهك الغائب يلقانا على صدر الجريده
وعلى نظرة عينيك البعيده
نحن نمضي ونسافر
ونلاقيك ، نلاقيك على
قمة الدنيا وحيدا يا بعيدا يا
قريبا ، يا الذي نحويه فينا في الخلايا
في مسام الجلد ، في نبض الشرايين التي
وترها الحزن المكابر
يا بعيدا يا قريبا ، ثم على الصدر الذي
يفتحه (عيبال) من أجلك أسند
رأسك الشامخة اليوم الى « القبه »
فالصخرة في القدس احتوتك الان
حين الموت اعطاك الحياة ...